ردمد ISSN 0000-0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 -0000

المدن الجزائرية في العصر الوسيط بين التحصين والتجارة البحرية: هنين أنموذجا

The nature of the historical writing of Abu Ras al-Nasseri through its authors Aj-aib El-sfar wa lataif Al-akhbar" and "Z'ahr al'chmrikh fi i'lm al' trikh "

د. قدور منصورية د. سي الطيب رشيدة
جامعة أحمد زبانة غليزان
mansouria.kaddour@univ-relizane.dz

تاريخ استقبال المقال: 2024/07/22 تاريخ القبول: 2024/10/10 تاريخ النشر: 2024/12/01

ملخص:

مدينة هنين إحدى مدن الجزائر في شقها الشمالي الغربي الساحلي، تزخر بالشواهد والأحداث التاريخية مند القدم وتشكل إرثا حضاريا، مايزال بها بقايا أثرية شاهدة على فترة زمنية من تاريخها الإسلامي في الفترة الوسيطة خاصة العهد الموحدي والزياني.

لقد نشطت مدينة هنين كقاعدة بحرية ودار صناعة زمن الدولة الموحدية، وميناء تجاري على عهد الدولة الزيانية في ربط العلاقات التجارية مع الظفة الشمالية للبحر المتوسط، كمأنها كانت محصنة بأسوار تحيط بالمدينة تتخللها أربعة أبواب وفوقها أبراج، إلى جانب أبراج منعزلة على جانبي المدينة.

الكلمات المفتاحية: هنين،مدينة،تحصين،ميناء،تجارة خارجية

Abstract:

Algerian cities in the medieval period often balanced military fortification with maritime trade, and the city of Honaine serves as a key example. Located on the western coast, Honaine was both a fortified stronghold and a thriving port. Its strategic location made it vital for trade across the Mediterranean, especially during the Almohad period, while its defensive structures protected it from foreign invasions. The city illustrates how urban planning in medieval Algeria integrated security with economic activity.

Keywords: Honaine, City, Fortification, Port, Foreign Trade.

ردمد ISSN 0000-0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 -0000

المقدمة:

هنين من أهم المدن الساحلية بالجزائر تحتل موقعا متميزا مقابل البحر، مما جعلها مغرَية للاستيطان البشري ومطمع الأمم المجاورة، وما يزال بها بقايا آثار شاهدة على حقبة زمنية من تاريخها في العهد الإسلامي الوسيط، إد تحتل المدينة موقعًا جغرافيًا هامًا بالنسبة لعاصمة المغرب الأوسط تلمسان وذلك أنها تشرف على البحر المتوسط من الجهة الشمالية، إذ يعد البحر المتوسط طريقا عالميا للتجارة والعبور بين أجزاء العالم سواءا في العصر القديم والوسيط وحتى في العهد الحديث، ويعد ميناء هنين من أهم الموانئ لبلاد المغرب الأوسط في جهته الغربية في الفترة الوسيطة خصوصا في العهد الزياني ويتجلى ذلك من خلال ما ذكرته النصوص التاريخية الجغرافية.

1- الموقع الجغرافي لمدينة هنين:

1-1- الموقع الجغرافي:

تقع مدينة هنين في الساحل الغربي الوهراني، بين مصب نهر تافنة شرقا ومدينة الغزوات غربا على بعد 40كلم من الحدود المغربية[1] بينها وبين مدينة تلمسان 30ميلا (60كم) وبينها وبين وهران 80ميلا(حوالي 160كلم) [1] ،وتقع المدينة القديمة بين وادين وادي هنين من الناحية الشمالية و وادي رق من الناحية الغربية تحتل مساحة 320م محاطة بأسوار من الآجر لا يزال بقايا معظمها صامدا إلى أيامنا هذه[1]،إ ذ تحتل المدينة موقعا هاما من منطقة ترارة، وذلك في عمق جوف صغير بالقرب من رأس هون على هيئة شبه حدوة فرس[1]وهي فريضة تلمسان تقابل مدينة المرية(المرية) بالأندلس في مستواها[1]

أصل التسمية :

هنين مدينة ساحلية، وذكرها ابن خلدون بثلاثة أسماء:هَنين-هنَي-هُنين[1]، هذا الأخير هو الرسم القائم في الوقت الحاضر، وكلمة هنين تعني الشرفة عند الأهالي باللسان الأمازيغي[1]. وبالرغم أن إسم هنين لم يكن معروفا قديما، فهناك من يرى أن إسم هنين تغير في فترة مجهولة، إذ كانت تعرف في الفترة القديمة بإسم جبساريا التي تعني موطن الجبس لأنها معروفة بالأثار الواقعة قرب هنين[1]، ونجدها مرة ثانية بإسم أرتيسيقا في القرن5م[1]، وهي كلمة مركبة ذات أصل بربري تنقسم إلى "أرتي" و "سيقا"[1]، وتعني الطريق المؤدي إلى سيقا[1]، وأول ذكر لهذه المدينة بإسمها الحالي يرجع إلى تاريخ 237هـ/851م، فقد ذكر صاحب روض القرطاس(عاش ق8هـ/14م) أنَ أحد المؤدنين من نواحي تلمسان فرَ من متابعة أمير هذه المنطقة عن طريق ميناء هنين إلى الأندلس[1]، أما في كتب الجغرافيين يذكرها البكري(ت487هـ) فيقول":...من الوردانية إلى حصن هنين أربعة أميال..."[1]، فضلا عن ماذكره البكري فإنَ الإدريسي(ت560هـ)

ردمد ISSN 0000-0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 -0000

في وصفه للمدينة قال :"...وهنين مدينة حسنة صغيرة في نحو البحر..."[1]، ومع بداية القرن 6هـ الموافق 12م تحدث ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان عن المدينة بقوله:"...هنين ناحية من سواحل تلمسان من أرض المغرب، منها كان عبد المؤمن في بن علَي ملك المغرب من بليدة منها يقال لها تاجرة"[1]، أما الجغرافي بن سعيد المغربي فيذكر المسافة بينها وبين تلمسان فيقول:"...وبينها(تلمسان) وبين هونين ثلاثون ميلا.." [1].

2- الخصائص العمرانية بمدينة هنين وتحصيناتها:

2-1- التقسيم العمراني الداخلي لمدينة هنين القديمة:

أ- موقع المدينة القديمة: تقع بين وادين :وادي هنين من الناحية الشرقية ووادي رقو من الناحية الغربية، تنقسم إلى قسمين علوي(القصبة) وسفلي ويتسع كلما إقتربنا من البحر(المدينة العتيقة) محاطة بأسوار تتخللها أبراج، وهذه الأسوار ملتصقة بأسوار القصبة من الجهة الشرقية الجنوبية والجهة الغربية الجنوبية[1].

ب- **العمارة الدينية:**

- **المسجد:**لم ترد معلومات هامّة عن مساجد هنين إلا إشارات عرضية لوجود هذه المعالم العمرانية الدينية في بالمدينة، بالإضافة أنها خربت واندثرت، ولكن ما يمكن الوقوف عليه المسجد الذي بناه أبوالحسن المريني وسط المدينة، وهو مسجد جميل مئذنته عالية وأنيقة ، وكان آخر ما اندثر حوالي 1888م[1]، واليوم عوض ببناء مسجد جديد يحمل اسم عبد المؤمن بن علي.

ج-**العمارة المدنية:**

- **أ-القصبة(دار السلطان،القلعة)** [1]:

يرجح أنها أقدم المعالم القديمة للمدينة وذلك حين كانت هنين حصنا تقع في الواجهة الجنوبية الغربية للمدينة على طرف جرف صخري ارتفاعه حوالي 34م، يحيط بها سور يمبني بالطابية يبلغ ارتفاعه مابين 7م حتى 10م في الجهة الجنوبية يتخلله أربعة أبراج ،حيث يشرف البرج الشمالي على المدينة والميناء معا، كما يوجد مدخلا في الزاوية الشمالية الشرقية منها[1].

ب- الميناء:

-**المرفأ:**كان يقع أسفل القصبة في الجهة الشمالية الغربية للمدينة، وكان عبارة عن حوض مستطيل طوله 85م وعرضه50م محمي بسور ويتصل بالبحر عن طريق قناة مفتوحة بعرض حوالي 6م ،وتدخل وتخرج من خلالها السفن من المياه المتوسطية[1]، وهو اليوم عبارة عن عمارة تشغله مصالح الدرك الوطني وملعب.

–**الميناء الطبيعي:** عبارة عن امتداد مائي بحري شبه نصف دائري، يحيط به جرفان شديد

ردمد ISSN 0000-0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 -0000

الانحدار من الجهة الغربية ومن الجهة الشمالية الشرقية وعند حافة هذا الأخير كان يوجد خزان ماء كبير لتزويد السفن بالمياه الشروب[1].

ج-الحمام: لاحظ جورج مارسيه بالقرب من البوابة الشمالية للمدينة وجود مجموعة من الهياكل متشابهة البناء استعملت كحمام وعلى بعد مترين ونصف شرقا تقع بئر مجهزة بخزان للمياه يؤمن الماء لأحواض الحمام[1]، أما حاليا أصبح في هذا المكان حمام عام يحمل اسم "حمام عبد المؤمن بن علي

2-2:تحصينات المدينة:

- **الأسوار:** مازالت بعض بقايا أطلالها قائمة حتى الآن، فالسور الغربي المقابل للبحر الجزء المتبقي منه لا يتعدى 200م بينما السور الحقيقي يمتد لأكثر من 400م، أما السور الشمالي الشرقي[1] ماتزال بعض أبراجه قائمة، أما السور الجنوبي في انحدار جبل المنزل والذي لم يبقى إلا بعض البقايا[1].

- **الأبراج:**لقد تعددت الأبراج في أسوار المدينة والقصبة بالإضافة إلى الأبراج المنعزلة عن المدينة

- **برج البحر**:وهو منعزل يقع شرق الميناء في أسفل منحدر الجرف الشرقي أمام البحر ولم يبقى منه

- **برج سيدي إبراهيم :** وهو منعزل ويوجد في قمة الجرف الشرقي للميناء أمام ضريح سيدي إبراهيم كما يطلق عليه برج سبانيول من عهد الاحتلال الإسباني المسيحي، ولا قائما حتى الآن[1].

- **أبراج أسوار القصبة والمدينة:** تتخلل حوائط الأسوار على مسافات منتظمة تقدر بحوالي م15، كما تكون عند مداخل المدينة أوالقصبة[1].

- **الأبواب أو المداخل**: هناك عدّة أبواب تتخلل أسوار المدينة بعضها اندثر نهائيا والبعض الآخر ما يزال قائما ليومنا حيث نجد أربع أبواب:

-**باب البحر:** منها تدخل السفن وتخرج وحسب مارسي عبارة عن قوس يرتفع على عمودين مزين على حافتيه بنقوش[1]،ولم يعد موجودا بسبب تغيير موقع الميناء،كما هناك أبواب أخرى تؤدي إلى المدينة:

-**باب الشمال:** وماتزال قائمة تشرف على وادي هنين وتلقب عند الأهالي بباب "باب السانية"[1] وراجع إلى طواحين الماء المتوفرة على طول الوادي حسب ما ذكره الحسن الوزان[1].

-**باب الشرق:** تسمى "باب السنون"[1] عند سكان المدينة وعبارة عن فتحة في أسفل السور الشرقي ينتصب برجان على جانبي الباب.

باب الغرب:يفتقد اليوم إلى آثاره من جهة القصبة يستعمله التجار في رحلاتهم وتنقلهم[1]

ردمد ISSN 0000–0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 –0000

3-3دور الميناء في العلاقات الخارجية:

أ-ميناء هنين:

الذي يبعد عن تلمسان حوالي إثني عشرة مرحلة[1] وهو حصن قديم تحول إلى ميناء صغير يموَن مدينة ندرومة، ثم أصبح في القرن 6ه/12م مدينة عامرة ذات أسواق مزدهرة[1] وأصبح ميناؤها مركزا لصناعة السفن في عهد الدولة الموحدية إذ لعب دورا هاما في تعزيز وتقوية أسطولهم البحري[1]، التي عملت على تحصينه من هجمات القراصنة، حيث كان واسعا إذ يصل عرض المرسى به إلى 8أمتار ونصف، وموقعه ممتاز بين الصخور يساعد عل رسو السفن وحمايتها من الرياح والأمواج سواء تلك القادمة من الناحية الغربية أو من الناحية الشرقية[1] يستقبل السفن ذات الحجم الصغير أوالكبير من شبه جزيرة إيبيريا،كما انه كان ضمن الخط البحري لموانئ بلاد المغرب الإسلامي وإمارة تلمسان من خلال نقل المغاربة لسلعهم ولا شك أنه كان لسكان المنطقة سفن يرحلون بها محملة كغيرهم شرقا أوغربا، وأصبح هذا الميناء في العصر الزياني الممون الرئيسي للدولة[1]. باعتباره همزة وصل بين الزيانيين والدويلات الأوروبية الإيطالية والمسيحية[1]، إذ كان الصراع على أشده بين بني عبد الواد والمرينيين حول هذه المدينة حيث تفطنت هذه الأخيرة للأهمية التجارية والموقع الإستراتيجي الذي تتمتع به المدينة [1].

- 1531م بتوجيه حملة بحرية بأسطول يتكون من إحدى عشرة سفينة حربية وناقلتين وفرقة من 250 جندي سحبت من حامية وهران، وبسبب عدم استعداد السكان للمواجهة أحتلت المدينة، حيث ترك الإسبان حامية بها تقدر بحوالي 700 جندي و15 مدفعا، ولكن نتيجة تضييق الخناق عليها من طرف السكان من خلال منع وصول الزاد والمؤونة، عملت الحامية الإسبانية على تخريب المدينة وأفسدت ميناؤها سنة 941ه/1534م فأصبحت خرابا.

منّ القرن 5ه/11م توسع التبادل التجاري بموانئ بلاد المغرب الإسلامي من مختلف المناطق بما فيها ميناء هنين[1]حيث نجد أن البكري تحدث عنها في القرن 5ه/11م أنَها عبارة عن حصن ذو أهمية تجارية وأمنية[1] ثم بعد قرن من الزمن يصفها لنا الإدريسي أنها عبارة عن مدينة عامرة آهلة وكثرة الأسواق وازدهار التجارة هذا ما يعطينا فكرة عن تطور الحصن[1]، وزادت انتظاما باستقرار الأوضاع السياسية بقيام الدولة الموحدية وامتداد سلطانها إلى بلاد الأندلس حيث صار للدولة أسطول قوي في البحر المتوسط يحمي طرق القوافل البحرية ويدافع عن الموانئ المغربية التي كانت تستقبل السفن الأجنبية المحملة بالبضائع المختلفة وتعود ببضائع مختلفة أخرى[1]، حيث كانت تحمل من ميناء هنين الحبوب والزيوت والتين المجفف إلى ألمرية[1]،والصوف والقطن يصدر إلى ميورقة وجنوب أوروبا كما أنه تحفظ لنا النصوص التاريخية في العهد

الزياني استقرت جاليات إيطالية وأرغوانية بهنين ،وكان يوجد بالميناء مركز لتخزين البضائع المستوردة وكان الإيطاليون هم الموزعون لها[1]إذ أصبحت المدينة في هذه الفترة الرئة الاقتصادية للدولة الزيانية عبرَ المبادلات التجارية بمينائها حيث قدمت لها سفن بني الأحمر من الأندلس، وسفن مسيحية من البندقية وبرشلونة وفلورانسا وكاطلونيا[1].

إذ أصبح الميناء همزة وصل بين الشمال(الجنوب الأوروبي)والجنوب (الصحراء) وذلك من خلال تبادل وبيع السلع والبضائع الأوروبية والمحلية وحتى من بلاد السودان الغربي.

-الحركة التجارية بميناء هنين:

منّ القرن 5ه/11م توسع التبادل التجاري بموانئ بلاد المغرب الإسلامي من مختلف المناطق بما فيها ميناء هنين حيث نجد أن البكري تحدث عنها في القرن 5ه/11م أنَها عبارة عن حصن ذو أهمية تجارية وأمنية[1] ثم بعد قرن من الزمن يصفها لنا الإدريسي أنها عبارة عن مدينة عامرة آهلة وكثرة الأسواق وازدهار التجارة هذا ما يعطينا فكرة عن تطور الحصن[1]، وزادت انتظاما باستقرار الأوضاع السياسية بقيام الدولة الموحدية وامتداد سلطانها إلى بلاد الأندلس،حيث صار للدولة أسطول قوي في البحر المتوسط يحمي طرق القوافل البحرية ويدافع عن الموانئ المغربية التي كانت تستقبل السفن الأجنبية المحملة بالبضائع المختلفة وتعود ببضائع مختلفة أخرى[1]، حيث كانت تحمل من ميناء هنين الحبوب والزيوت والتين المجفف إلى ألمرية[1]،والصوف والقطن يصدر إلى ميورقة وجنوب أوروبا كما أنه تحفظ لنا النصوص التاريخية في العهد الزياني استقرت جاليات إيطالية وأرغوانية بهنين ،وكان يوجد بالميناء مركز لتخزين البضائع المستوردة وكان الإيطاليون هم الموزعون لها إذ أصبحت المدينة في هذه الفترة الرئة الاقتصادية للدولة الزيانية عبرَ المبادلات التجارية بمينائها حيث قدمت لها سفن بني الأحمر من الأندلس، وسفن مسيحية من البندقية وبرشلونة وفلورانسا وكاطلونيا

الخاتمة:

من خلال ما سبق ذكره عن البنية العمرانية لمدين, هنين في العصر الوسيط فإنّنا، حاولنا إعطاء صورة لما كانت عليه المدينة في هذه الفترة، وحتّى إن اختلفت فتراتها التاريخيّة فإنّ تقسيماتها وعناصرها المعماريّة شكّلت قاسمًا مشتركًا ولكنّها تطورّت ونمت مع مرور . والنتيجة أنَ انفتاح مدينة هنين على التيارات التجارية المتوسطية زادها أهمية اقتصادية، بحيث قد شهدت تجارة خارجية بحرية مزدهرة دلت عليها الرحلات البحرية التجارية مع مختلف الجهات وخصوصا دول الضفة الشمالية للبحر المتوسط انطلاقا من ميناء هنين، حيث تردد التجار الأوربيين بغاية اقتناء مختلف البضائع المحلية أو الصحراوية وإعادة شحنها إلى المدن الأوربية.

ويبدو أنَ هذا الازدهار بدأ في القرن 6ه/11م المرتبط بسياسة الدولة القائمة آنداك، ليرتفع في القرون الموالية في الفترة الزيانية حيث يسبح المتنفس اقتصادي كبير للدولة لقربه من العاصمة تلمسان، وبالتالي كانت هنين الواجهة التي تمكن تلمسان من الاتصال بباقي المدن التجارية في البحر المتوسط

قائمة المصادروالمراجع

-[1] - عبد العزيز محمود لعرج،مدينة هنين تاريخها وآثاره،التراث العلمي والثقافي لمدينة ندرومة ونواحيها،أعمال الملتقى الدولي الخامس،دار السبيل للنشر والتوزيع،تلمسان (د.ت)

[1] -ابن سعيد أبوالحسن علي بن موسى المغربي،كتاب الجغرافيا،حققه ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل العربي،ط2،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،140.

[1] -رابح لحسن،أضرحة الملك النوميد والمور،دار هومة،الجزائر،2002م،ص223.

[1] -ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج5،دار صادر،بيروت، 1977م،ص419.

[1] -أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي،الجغرافيا،حققه ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل العرب،ط2،ديون المطبوعات الجامعية،الجزائر،1982،ص140.

-عايد عمارية،الفوارق الصوتية والدلالية بين الفصحى والعاميّة في منطقة هنين-المثل الشعبي أنموذجا-،مذكرة ماجستير،تخصص علم اللهجات،قسم الثقافة الشعبية،كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية،جامعة أبي بكر، تلمسان،2004م،ص11

[1]- الطاهر طويل،المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط:من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الخامس ،ط1،مطابع حسناوي،الجزائر،2011م،ص342.

[1]-ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص201.

[1]-جيلالي صاري، أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان(هنين)، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية،ع12، الجزائر، 1986م،ص18.

[1]- لطيفة بشاري بن عميرة، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط :في إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العشر الهجريين(13-16م)، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الاوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامي،2011م،ص87.

[1]-عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج1،ص87،جيلالي صاري،أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان(هنين)،ص19.

[1]-مختار حساني،موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية:مدن المغرب،ج4،دار الحكمة،الجزائر،2007،ص234.

ردمد ISSN 0000–0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 – 0000

[1]-حسن علي حسن،الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين،ط1،مكتبة الخانجي،

[1] -عبد القادر فكاير،المرجع السابق،ص208،محمد بن زغادي،قراءة في تاريخ مدينة هنين،مجلة كان التاريخية،دورية إلكترونية عربية، ع28 ،2008م ،ص84.

[1]-حسن علي حسن،الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين،ط1،مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980، ص287.

حسن علي حسن،الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين،ط1،مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980

- مختار حساني،موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية:مدن المغرب،ج4،دار الحكمة،الجزائر،2007 -لطيفة بشاري بن عميرة،

العلاقات التجارية للمغرب الأوسط :في إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العشر الهجريين(13-16م)، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الاوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامي،2011م - جيلالي صاري، أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان(هنين)، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية،ع12، الجزائر، 1986م